أسس الحوار بين الإسلام والنصرانية من خلال حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع النصارى

أ. مختار نصيره
جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة

إن القرآن الكريم قرر حقيقة التوحيد وأكدها في كثير من آياته، وتميز بأسلوب فريد في الدعوة إليه، إذ دعا إلى وحدانية صريحة منزهة لا شائبة فيها، كما أن دعوته شملت التوحيد بأنواعه الثلاثة، توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، ولم يلجأ في إثبات هذه الحقيقة إلى خوارق العادات أو القوارع التي تخرس الألسنة، وإنما احتكم إلى الفطرة والعقل، يخاطب الفطرة التي فطرت على الإيمان بإله واحد لهذا الكون، ويخاطب العقل يطلب منه النظر والتدبر في ملكوت الله ليدرك أن هذا الإبداع وهذا التناسق في الكون لابد له من مبدع[1].

ولما كان الرسول ﷺ هو المبلغ الأول عن رب العالمين – ومن بعده كل من تصدر للدعوة – رسم له تعالى المنهج الذي يتبعه في الدعوة إلى سبيل الله، فقال: **﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾**[2].

"وسياق الآية يفرق بين المطلوب في الموعظة والمطلوب في الجدال، ففي الموعظة اكتفى بأن تكون حسنة، أما في الجدال فلم يرض إلا أن يكون بالتي هي أحسن، بمعنى أنه إذا كان هناك طريقتان إحداهما حسنة والأخرى أحسن، فالمأمور به أن نتبع الأحسن.

---

1 – انظر. د/ محمد أحمد صالح. النصرانية من التوحيد إلى التثليث. دار القلم، دمشق. الدار الشامية. بيروت. ط1(1413هـ – 1992م). ص 65 – 66.

2 – النحل: 125.

والغرض من ذلك: أن الحوار في الموعظة يرجع ـ عادة ـ إلى الموافقين في الفكرة والمبدأ، فهم لا يحتاجون إلا لمجرد تذكير لترقيق قلوبهم. على حين يوجه الجدال ـ عادة ـ إلى المخالفين، الذين قد يدفع الخلاف معهم إلى قسوة في التعبير أو خشونة في التعامل، أو عنف في الجدال، فكان من الحكمة أن يطلب القرآن اتخاذ أحسن الطرائق وأمثلها للجدال أو الحوار"[1].

ومن أساليب المجادلة بالتي هي أحسن التركيز على نقاط الالتقاء ومواضع الاتفاق، والانطلاق منها إلى مواضع الاختلاف وبيان وجه الحق فيها، قال تعالى: ﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾[2].

ومن هذه الأساليب أن يختار المجادل ألطف التعبيرات وأرقها، ونذكر في هذا الصدد نموذج رائع من نماذج حوار القرآن مع المخالفين، وكيف يتنزل معهم في الكلام، ويرخي لهم العنان، ليستميلهم إليه ويقربهم إلى ساحته، ولا يستثير دوافع الخصومة وحب الجدل في نفوسهم بل يحاول بأسلوبه الحكيم ـ تهدئتها، وتقليم أظافرها[3].

3 ـ يوسف القرضاوي. الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم. بتصرف يسير. ص 245 ـ 246

4 ـ العنكبوت: 46

5 ـ يوسف القرضاوي. الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم. دون معلومات طبع. بتصرف يسير. ص247 ـ 248

قال تعالى مخاطبا المشركين:﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [1].

يقول الرازي في معنى هذه الآيات:«هذا إرشاد من الله لرسوله إلى المناظرات الجارية في العلوم وغيرها، وذلك لأن حد المتناظرين إذا قال للآخر هذا الذي تقوله خطأ، وأنت فيه مخطئ يغضبه، وعند الغضب لا يبقى سداد فكر، وعند اختلاله لا مطمع في الفهم فيفوت الغرض، وأما إذا قال له بأن أحد لا يشك أنه مخطئ والتمادي في الباطل قبيح، والرجوع إلى الحق أحسن الأخلاق فنجتهد ونبصر أينا على الخطأ ليحترز، فإنه يجتهد ذلك الخصم في النظر، ويترك التعصب، وذلك لا يوجب نقصا في المترلة ؛ لأنه أوهم بأنه في قوله شاك، ويدل عليه قوله تعالى لنبيه:﴿ **وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ**﴾ مع أنه لا يشك في أنه هو الهادي وهو المهتدي، وهم الضالون والمضلون.

ثم قال تعالى:﴿ **قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا**﴾ أضاف الإجرام إلى النفس، وقال في حقهم: ﴿**وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ ذكر لفظ العمل لئلا يحصل الإغضاب المانع من الفهم وقوله: ﴿ **قُلْ لَا تُسْأَلُونَ**﴾ ، ﴿**وَلَا نُسْأَلُ**﴾ زيادة حث على النظر، وذلك لأن كل أحد إذا كان مؤاخذا بجرمه، فإذا احترز نجا.

ثم قال تعالى:﴿ **قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ**﴾ أكد ما يوجب النظر والتفكر، فإن مجرد الخطأ والضلال واجب الاجتناب، فكيف إذا كان يوم عرض وحساب وثواب وعذاب"[2].

كما نجد سياق القرآن يستخدم في مخاطبة اليهود والنصارى تعبيرا له إيحاؤه ودلالته في التقريب بينهم وبين المسلمين، فيناديهم: يأهل الكتاب، أو الذين أوتوا الكتاب.

---

6 ــ سبأ: 24 ــ 26.

7 ــ الرازي. التفسير الكبير. 257/25.

ومن خلال ما سبق بيانه يتضح أن تبليغ أية فكرة ذات أهمية تقتضي دراية وأسلوبا حكيما بينته الآيات المذكورة آنفا، ونحن على ضوءها نحاول بيان الأسس التي اعتمدها النبي ﷺ وأصحابه في تبليغ دعوة الحق، وذلك من خلال تدبر بعض الأحداث من كتب الحديث والتفسير والسير.

وأول المحطات التي تتطلب تدبرا هجرة الصحابة إلى الحبشة طلبا للأمان، والحوار الذي جرى بين ممثل الإسلام والمسلمين جعفر بن أبي طالب ﷺ وممثل النصرانية النجاشي أصحمة ابن الأبجر، الذي استطاع فيه جعفر أن يقدم مبادئ الإسلام وقواعده أمام النجاشي وحاشيته بصورة فريدة تنبئ بكفاءة هذا الصحابي وتمكنه في أداء دعوة الإسلام على أعلى مستوى أمام الملوك والأمراء.

وعند تحليلنا لحواره نجده اعتمد في إجابته على أسئلة النجاشي أسسا يتفق فيها الإسلام مع المسيحية في كثير من الوجوه:

أولا ــ مساوئ الجاهلية وعوراتها وقذرها بحيث أصبح هذا الدين الذي يدين به وفد قريش تتقزز منه كل نفس بشرية، ــ فقال:«أيها الملك كنا قوما أمل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف» ــ، وهو بهذا قد هدم الركن الركين الذي يفيء إليه رسولا قريش للنجاشي عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة [1].

ثانيا ــ ثم انتقل إلى عرض القواعد العامة للإسلام في جمل مختصرة، تستهوي كل حصيف عاقل، فقال:«فكنا كذلك، حتى بعث الله فينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن و أباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم،

---

8 ــ منير محمد الغضبان. المنهج الحركي للسيرة النبوية. شركة الشهاب الجزائر، بتصرف، 95/1.

وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده و لا نشرك به شيئا ـــ فعدد عليه أمور الإسلام ـــ فصدقناه وآمنا به، واتبعناه ..."[1].

وهكذا جعل جعفر ﷺ بلباقته النجاشي وحاشيته يعيشون في مقارنة حية بين المبادئ التي ألفها أهل الجاهلية وبين ما جاء به الإسلام الحنيف، وقرّب نفس النجاشي من الإسلام.

ثالثا ـــ والعرض في هذه المرحلة كان عن طريق المقاربة بين الدعوتين الدينيتين ـــ الإسلام والمسيحية، حيث عرض «الظلم الماحق الذي نزل بالمسلمين نتيجة تمسكهم بهذا الدين وأبرز وضع المسلمين في صورة قديسين وحواريين، تترل بهم ضربات المجرمين الوثنيين،وهذه الصورة ذات أثر ساحر في نفس النصارى الذين يعيشون مفهوم التضحية والفداء، بل حرروا دينهم إلى صور من المثالية والرهبانية التي ابتدعوها ابتغاء رضوان الله، وما كتبها عليهم»[2].

رابعا ـــ أنهى إجابته ﷺ بذكر المزايا التي من أجلها رغبوا في بلد النجاشي دون غيره، قال:«فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك»[3]. وعند هذا الحد كسب المسلمون قلب النجاشي بما بينوا له من دعوة الحق عز وجل،وخاصة بعد قراءة صدر سورة مريم، حين طلب منه النجاشي أن يسمعه شيء مما جاء به رسول الله ﷺ، ولا شيء أحب على قلب النجاشي من أن

---

9 ـــ ابن هشام. السيرة النبوية. تحقيق:»مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي". دار إحياء التراث العربي. بيروت مختصر. 359/1 ـــ361.

10 ـــ منير محمد الغضبان. المنهج الحركي للسيرة النبوية. 95/1

11 ـــ ابن هشام. السيرة النبوية. 360/1

يسمع صدر سورة مريم العذراء الطاهرة البتول، وأصدر حكمه النهائي بقوله: «إن هذا والذي جاء به عيسى من مشكاة واحدة»[1].

خامسا ــ أغفل جعفر ﷺ في حواره هذا نقاط الاختلاف بين الإسلام والمسيحية ــ في ثوبها المبتدع ــ؛ لأنه قد يفقد كل المكاسب التي حققها في حواره السابق، والتي على رأسها إسلام النجاشي، وحرية الدعوة، بل قد تؤدي إلى التنكيل بهم وتسليمهم إلى عدوهم.

ولكنها ما فتأت أن ظهرت هذه المسألة العقدية الجوهرية بتخطيط من عمرو بن العاص الذي تعهد بالفتك بهم بالسلاح الذي هزموه به في الجولة الأولى، فأخبر النجاشي بأنهم يقولون في عيسى قولا عظيما، فسألهم: ماذا تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال جعفر: «ما نقول فيه الذي جاء به نبينا ﷺ، يقول: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول» فضرب النجاشي بالأرض فأخذ منها عودا، ثم قال: «والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود»[2].

فهذا الحوار يعد صورة حقيقية للحوار بين الإسلام والنصرانية، من إحدى زواياه،؛ لأن "النجاشي كان رجلا راشدا نظيف العقل، حسن المعرفة لله، سليم الاعتقاد في عيسى عبد الله ورسوله ﷺ، وكانت مرونة فكره سر المعاملة الجميلة التي وفرها لأولئك اللاجئين إلى مملكته فارين بدينهم من الفتن[3].

أما إذا نظرنا إلى هذا الحوار من زاوية أخرى باعتبار اختلاف طبيعة معتقد المجادل لما عليه النجاشي، فإننا نجد في وفد نصارى نجران نموذجا لذلك ؛ «لأن أهل نجران ــ كما قال عامر الشعبي ــ أعظم قوم من النصارى في عيسى قولا فكانوا

---

12 ــ منير محمد الغضبان. المنهج الحركي للسيرة النبوية. 96/1.

13 ــ ابن هشام. السيرة النبوية. مختصر. 359/1 ــ361.

14 ــ محمد الغزالي. فقه السيرة. دار الشهاب. الجزائر. ص 119.

يجادلون النبي ﷺ»[1]، فكيف كانت صيغة الجدال بينهم وبين النبي ﷺ، وما الأسس المعتمدة في ذلك؟

وردت قصة وفد نجران في كثير من كتب الحديث و التفسير والسير، على اختلاف بينها في الألفاظ زيادة ونقصا، ومنها الصحيح الثابت عن الصحابة ـــ رضي الله عنهم ـــ وفيها الضعيف[2]، وسنعتمد في هذا الموقف على الصحيح الثابت إن شاء الله.

وعد كثير من المفسرين هذه القصة سببا لنزول صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها، وفيهم من اعتبرها سببا لنزول آية المباهلة فقط، وأصلها ما أخرجه البخاري عن صلة بن زفر عن حذيفة ﷺ قال: «جاء العاقب، والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه. قال: فقال أحدهما لصاحبه لا تفعل فو الله لئن كان نبيا فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا. قالا: إنا نعطيك ما سألتنا رجلا أمينا ولا إلا أمينا. فقال: لأبعثن معكم رجلا أمينا حق أمين فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح، فلما قام قال رسول الله ﷺ هذا أمين هذه الأمة»[3].

وإن كان هذا النص لا يعتبر في ظاهره حوارا أو جدالا حتى نستقي منه قواعد الحوار وأسسه، إلا أن المرويات الأخرى تحوي نقاشا حادا بين الطرفين في حقيقة

---

15 ـــ نقلا عن ابن حجر العسقلاني. العجاب في بيان الأسباب. 680/2.

16 ـــ انظر هامش الصفحات: 57،59،60 من فقه السيرة.للشيخ الغزالى.

17 ـــ البخاري. الصحيح. 1592/4، ومختصرا في 2649/6. قال ابن حجر:»و أخرج نحوه الحاكم. المستدرك على الصحيحين من طريق عيّ بن مسهر، وابن شاهين وابن مردويه في التفسير من طريق بشر بن مهران، كلاهما عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن جابر " العجاب في بيان الأسباب. 683/2.

المسيح ﷺ سبق طلب الملاعنة، وكان الدور فيه للبراهين العقلية والفطرية ؛ لأن الأمر يتعلق بقضية من قضايا الإسلام الكبرى التي يعتمد فيها على البرهان، ولنا أن نتدبر قوله تعالى:﴿ **أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ**﴾.

فروى ابن جرير الطبري بإسناده إلى محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر، قال:«قدم على رسول الله ﷺ ستون راكبا فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم، ثلاثة نفر يؤول أمرهم إليهم: العاقب أمير القوم، وذوا رأيهم وصاحب مشورتهم، والسيد واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة وكان أسقفهم، وكان رجلا من العرب، تنصر فعظمته الروم وملكوه وشرفوه، قدموا على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر، وقد حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: دعوهم؛ فصلوا إلى المشرق[1]، ثم كلمه الحبران ــ وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف أمرهم، يقولون: هو الله، ويقولون هو ولد الله، ويقولون هو ثالث ثلاثة، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ــ قال رسول الله ﷺ: أسلما، قالا: قد أسلمنا، قال: إنكما لم تسلما فأسلما، قالا:بلا قد أسلمنا قبلك. قال: كذبتما يمنعكما من الإسلام ادعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير. فقالا: فمن أبوه يا محمد ؟ فصمت رسول الله ﷺ عنهما فلم يجبهما، فأنزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها ... وأمر فيما أمر به من ملاعنتهم إن ردوا ذلك عليه دعاهم إلى ذلك، فقالوا يا أبا القاسم دعنا ننظر في الأمر، ثم انصرفوا وخلوا بالعاقب، وطلبوا منه الرأي، فقال: والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمدا لنبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم أنه ما لاعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإنه للاستئصال منكم ...فوادعوا الرجل

---

18 ــ إلى هذا الحد أخرجه الطبري.جامع البيان، دار المعرفة بيروت،1983مباختصار 163/3.

وانصرفوا إلى بلادكم. فرجعوا وقالوا: يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك ونتركك ودينك، ونرجع على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا، فبعث معهم بأبي عبيدة بن الجراح أمين الأمة»[1].

ومن خلال عرض هذه القصة نستطيع الوقوف على الأسس التي اعتمدها النبي ﷺ في حواره لهذه الطائفة النصرانية:

أولا ــ كان عرض الرسول ﷺ للإسلام انطلاقا من النقاط المشتركة بين الإسلام وما قرره عيسى عليه السلام في شريعته التي جنى عليها النصارى بالتحريف، ويقصد الحبْران بإسلامهما قبله ﷺ أنهما ثابتان على شريعة عيسى عليه السلام فقابلها ﷺ بالتكذيب لمخالفتهما أصول تلك الشريعة والتي هي ذاتها أصول الإسلام، يعني: أنكم إن كنتم تؤمنون حقا بعيسى عليه السلام لثبتُّم على أصول شريعته وما اتخذتم مع الله إلها أخر وما عبدتم الصليب، ولانتهى بكم الأمر إلى الإيمان بشريعة الإسلام؛ لأن الإيمان بعيسى يقتضي حتما الإيمان بالنبي ﷺ.

وهذا يؤكد ما ذكرناه سابقا في أصول الجدال مع المخالفين أن يبدأ المجادل بطرح القضايا المتفق عليها قبل الولوج إلى الأمور التي يقع حولها الخلاف.

ثانيا ــ إذا خرج الحوار عن إطاره الإنساني المعقول إلى دائرة يعجز العقل السليم أن يعمل فيها لفقدان وسائل التفكير، فإن من الأولى السكوت، ولذلك لما سئل رسول الله ﷺ عن والد عيسى عليه السلام، لم يرد بشيء ؛ لأن الأمر خارج عن نطاق

19 ــ ولابن إسحاق في هذ القصة سند آخر موصول أخرجه أبو بكر بن مردويه في التفسير من طريق آخر عن ابن إسحاق عن عاصم بنعمر بن قتادة عن محمد بن المسيب عن رافع بن خديج، وذكر فيه أن أشرافهم كانوا اثني عشر رجلا. انظر الرواية بطولها عند ابن كثير. تفسير القرآن العظيم دار الأندلس. 47/2 ــ 52

التفكير البشري القاصر، فهو يؤمن بأن ولادته معجزة ربانية، لكنهم لا يقتنعون بهذا الكلام، وانتظر الوحي الإلهي في المسألة. فترل صدر سورة آل عمران يقيم عليهم الحجة ويقدم البراهين التي تهدم أصول معتقداتهم التي ابتدعوها،وتضع عيسى عليه السلام في مرتبته التي شرفه الله بها ويثبت عبوديته. وفي سبيل هذا الغرض اتخذ خطوات تدرج فيها بالبيان كالآتي:

ثالثا ـ أول ما بدأ به السياق ذكر الوقائع التاريخية التي تشهد بصحتها كتب النصارى مع ما وقع فيها من تحريف:

ـ فذكر النسل الطاهر لعيسى عليه السلام وأنه اصطفى أمه على باقي نساء العالمين وتكريمها بحمل عيسى في بطنها.

ـ ثم ثنى بكفالة زكريا لمريم عليها السلام، وهذا مشهور عندهم، وزكريا كان عابدا ناسكا، وفي كفالته لمريم تشريف إلهي لها.

ـ وبعدها ذكر ما وهبه الله تعالى من الرزق في غير أوانه، حتى استغرب لذلك زكريا عليه السلام.

ـ ذكّرهم بما أنعم به على عبده زكريا بالولد في غير أوانه، فأنجب يحي على كبر وامرأته عاقر، وجعله نبيا.وكان هذا كله لبيان كمال قدرته تعالى التي لا تقيدها الأسباب، وأنه بهذا الكمال لا يحتاج صاحبة ولا ولدا.

رابعا ـ بعد هذه المقدمات التي لا يتدبرها عاقل إلا ووقف على عين الحقيقة، دخل معهم مباشرة في تشخيص الأمر ـ الذي اختلفوا حوله كثيرا وضلوا ـ، فذكر نداء الملائكة لمريم لتبلغها بتبشير الله إياها بالولد آية للناس ورحمة، بما أنعم عليه من الهداية والمعجزات التي لا تفعل فعلها إلا بإذنه تعالى.وختم العرض الطويل يقوله على لسان عيسى عليه السلام:**﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾**[1].

---

20 ـ آل عمران: 50

فإذا كان المجادل لديه فكر سليم وعقل لبيب ويسعى حقا لمعرفة الحقيقة فإنه بمجرد تدبر الآيات والربط بين المقدمات وما ذكره عن حقيقة مريم وابنها يدرك تماما أن عيسى عبد الله خلقه بمعجزة خارقة دالة على قدرته، ولا تؤهله هذه الخاصية إلى الخروج عن إطاره البشري في شيء.

خامسا ــ استمر معهم في مخاطبة العقل، وذلك بإيراد صورة أخرى من صور البراهين العقلية، فذكّرهم بأبي البشرية آدم عليه السلام فبين لهم «أن شأن عيسى عليه السلام بالنسبة لقدرة الله حيث خلقه من غير أب كشأن آدم، حيث خلقه من غير أبوين، بل شأن آدم أعجب وأغرب في خلقه من تراب، فمن آمن وأقر بقدرة الله في خلق آدم من تراب، كيف لا يؤمن بها في خلقه عيس من غير أب»[1]﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾[2] .

هذا كله قبل طلب الملاعنة التي هي آخر ما يلجأ إليه في إحقاق الحق لدى القلوب القاسية والعقول المتبلدة والفكر المنعدم، وهي القول الفصل لمثل من يعلم الحق وينكره.

ويتقدم جميع الأسس السابقة الأساس الأخلاقي الذي يعد المعيار الثابت لكل من يتصدر لهذه الرسالة الصعبة، لأن الداعية يسع الناس بأخلاقه قبل علمه وقوة دليله، ولهذا وفد نجران مع حقدهم الشديد على الرسول ﷺ، وعدم اعترافهم بالحق وإصرارهم على الباطل، يقرّون بأمانة المسلمين وصدقهم وتقواهم وذلك بحكم

---

21 ــ عبد العزيز إسماعيل صقر. افتراءات النصارى في ضوء القرآن الكريم. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية. سنة/9. ع/23 (ربيع الأول 1405هـ ــ أغسطس 1994م).ص 27.

22 ــ آل عمران: 59.

تعاملهم معهم في التجارة وغيرها، حتى أنهم طلبوا أمينا يحكم بينهم في أمور اختلفوا فيها ويؤثرونه على بني قومهم.

ونختم هذه المداخلة بذكر بعض أهداف الحوار بين الإسلام والمسيحية:

1 ــ إحقاق للحق الذي جاءت به شريعة الإسلام السمحاء، وإبطال ما خالف ذلك من افتراءات النصارى، وذلك في حوار علمي يقوم على الحجج والبراهين.

2 ــ الوقوف في وجه تيار الإلحاد والمادية، الذي يعادي كل الرسالات السماوية، ويسخر من الإيمان بالغيب، ولا يؤمن بألوهية ولا نبوة ولا جزاء، ولا قيم روحية، وكذلك تيار الإباحية والانحلال الخلقي الذي يكاد يدمر خصائص الإنسانية التي كسبتها من هداية النبوات[1].

3 ــ تأكيد نقاط الاتفاق بين الدينين التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله في جدال أهل الكتاب: ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[2].

4 ــ تنقية العلاقات من رواسب الروح العدائية التي خلفتها الحروب الصليبية قديما والاستعمار حديثا، وإشاعة معاني الإخاء والإنسانية والمرحمة، ومن مظاهر ذلك أن تكف الكنيسة عن تأييد النصارى ضد المسلمين في كل المعارك التي تدور بين الطرفين[3].

وحين ساء كثير من المسلمين الظن بمثل هذا الحوار المشبوه بين الإسلام والمسيحية، بأن وراءه أيديا خفية تحركه وتستثمره، وأن المسلمين هم الطرف الضعيف الذي يستخدمه الطرف القوي، رد الدكتور القرضاوي بقوله: «رأي أن

---

23 ــ يوسف القرضاوي. أوليات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة. دون معلومات طبع.ص 175.

24 ــ العنكبوت: 46

25 ــ يوسف القرضاوي. أوليات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة . ص 176

هذا التطير لا داعي له، وما قالوه يمكن أن يكون صحيحا، ولكنه ليس لازما دائما، ولماذا نفقد الثقة بأنفسنا إلى هذا الحد؟ لماذا نعتبر أنفسنا الطرف الضعيف؟ ولماذا نعتبر كل محاور لهؤلاء مفرطا في حق عقيدته، مستسلما للطرف الآخر؟ إن المهم أن ندخل الحوار ونحن واقفون على أرض صلبة، واثقين من أنفسنا، وممن يتكلمون باسمنا، مؤمنين بأن الحوار أولى من الشجار، ومن الفرار؛ لأنه من وسائل الدعوة التي بدأها رسول الله ﷺ في رسائله التاريخية إلى هرقل والمقوقس والنجاشي، وغيهم ...»[1].

26 ـــ المصدر السابق.بتصرف. ص 176 ـــ 177.